

على مواضع العلوم المتداولة في العالم وفوائدها وبعض مسائلها في الجملة
كما أننا إلى ذلك أتقنا، ليكون كل فرد على بصيرة من حالة عصره ولأن
العلوم والفنون يتداخل بعضها ببعض ويمد بعضها بعضاً، وما وراء الذي
نمرحناه كالعلوم والفنون التي عليها مدار ترقى الصناعة والزراعة والتجارة
فيجب أن ينمرد لها طوائف من الأمة، وحيث كان التوسع فيها يتوقف على
الاستعانة بكتب الأفرنج الذين أتقنوها وجنوا ثمارها فينبغي أن يتعلم بعض
لغات أولئك الأقوام طائفة منا لأجل ترجمة الكتب المفيدة في تلك العلوم
هذا ما نحن لنا في هذا المقام كتبناه على طريق الأجمال، فإذا سار عليه
القائمون بتشييد المدارس نرجو أن يكون سعيهم مؤدياً لسعادة الأمة
والوطن، وإلا كان انحواء واضللالاً ووبالاً ونكالا، فقد جربنا التعليم بغير
الصيغة الدقيقة فما زادنا إلا بلية ورزية، ونرجو ممن رأى في كلامنا هذا
منتقداً أن ينهنا إليه، وورعنا لود إلى الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق

رسالة الحاسد والمحسود

(الجاحظ)

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً في ظلمات الجهل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن
السلامة وأدام لك الكرامة، ورزقك
الاستقامة، ودفع عنك الشهامة

كتبت الي اكرمك الله ، انني عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دلائله
وأفعاله ، وكيف تفرقت أموره وأحواله ، وبم يعرف ظاهره ومكتومه ، ولم
يصار في السوء أكثر منه في الجملاء ، ولم كثري الأقرباء ، وكل منه في البعداء
وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين ، وكيف خص به الجيران
من جميع الاوطان ؟

الحسد - أبقاك الله - داء ينهك الجسد ، ويفسد الأود ، علاجه حس
وصاحبه ضيق ، وهو باب فامض وأمر متعذر ، فاطلب منه فلا يداوى ،
وما بطن منه فداويه في عناه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ديب اليكم
داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء .

وقال بعض الناس لجلسائه أي الناس أقل غفلة ؟ فقال بعضهم صاحب
ليل انما هم ان يصبح ، فقال انه لكذا وليس كذلك ، وقال بعضهم المسافر ، فقال
هم ان يقطع سفره ، فقال انه لكذا وليس كذلك ، فقالوا له فأخبرنا بقل الناس
غفلة ، فقال الحاسد ، انما هم ان يزرع الله منك النعمة التي أعطاكها فلا ينفلأ بداء
وروي عن الحسن انه قال : الحسد أسرع في الدين من النار في الخطب اليابس ،
وما أنى المحسود من حاسد الا من قبل فضل الله اليه ونعمته عليه ، قال الله
تبارك وتعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل
إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما) ، والحسد ضيق الكفر وحليف
الباطل ، وضد الحق وحرب البيان ، وقد ذم الله أهل الكتاب فقال (ود
كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند
أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فنه تولد الداء وهو سبب كل قطيعة
ومتبع كل وحشة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم بين الأقرباء ، ومحدث

التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخطاء. يكنى في الصدور كون النار في الحجر، ولو لم يدخل رحمتك الله على الحاسد بعد تراكم المحسوم على قلبه. واستمكن الحزن في جوفه، وكثرة مضطه ووسواس ضيقه، وتقصيص عمره وكدر نفسه، ونكد لداقة معاشه، الا استصغاره لنعمة الله عنده، وسخطه على سيده بما أفاد الله عيده، وتغنيه عليه أن يرجع في هبته إليه، وان لا يرزق أحدا سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوما، وكان عندكم في القياس مظالم ما، وند قال بعض الأعراب: ما رأيت ظلما أشبه بمظالم من الحاسد، نس باثر وقلب هائم، وحزن لازم، والحاسد مخذول ومازور، والمحسود محبوب ومنصور، والحاسد مهموم ومهجور، والمحسود متشي ومزور.

والحسد رحمتك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات، وأول معصية حدثت في الأرض، خص به أفضل الملائكة فصلى ربه، وقايسه بمحتمه واستكبر عليه، وقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) فلعنه وجعله إبليس وأنزله من جواره وشوه خلقه تشويها، فمروا على أنبيائه نوحيا. نبي عزيم ربه فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود فتاب عليه وهدى، ومضى الحاسد اللعين على حسده فشقي وغوى. وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فصلى ربه وأشكل أباه، وبالحسد طلعت له شمس تملأ أخيه قتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية الفسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، وإذا ألقى عليه الحجر شادنا، فأصبح عليه نادما صارخا. فمن شأن الحاسد انت كان المحسود غنيا توحيه على المال، وقال جبه حراما ومنسه أثاما. وألب عليه عاريج أقاربه وتركهم له خصما، وأمانهم في الباطل، وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر، وقال له: كفروا

معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون قلوبهم لا يشكرون.
وان وجد له خصما أعانته عليه ظلما . فان كان ممن يعاشره فاستشاره فحسه
أو تفضل عليه بمحروف كفره، أو دعاه الى نصره خذله، أو حضر مدحه
ذمه، وان سئل عنه همزه، أو كانت عنده شهادة كتمها، وان كانت منه اليه
زلة عظمها، يحب أن يماد ولا يعود، ويرى عليه العقود . وان كان المحسود
حالمًا قال مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل، ومتبع نيل، ما يدري ما حمل، قد
ترك العمل، وأقبل على الحيل، قد أقبل بوجوه الناس اليه، وما أحقهم اذا
مالوا عليه، فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رعيته، وأسوأ طعمته .
وان كان المحسود ذا دين قال متصنع يفزوليوصي اليه، ويحج ليثنى عليه،
ويقرأ في المسجد ليزوجه جارا ابنته، ويحضر الجنائز لتعرف شهرته، وما
لقيت حاسدا قط الا تبين لك مكتومه بتغيير لونه، وتخويص عينه، واخفاء
سلامه والاهراض عنك والاقبال على غيرك، والاستئصال لحديثك
والخلاف لرأيك، ولذلك قال القائل

طال على الحاسد احزانه	فاصفر من كثرة احزانه
دعه فقد أشطت في جوفه	ما هاج منه حر نيرانه
الغيب أشهى عنده لذة	من لذة المال لخزانه
فأرم على فاربه حبله	تسلم من كثرة بهتانه

وكان عبد الله بن أبي قبل ثقافته نسيج وحده بمجودة رأيه وبصد
همته، ونبل شيمته، واثقياد العشيرة له بالسيادة والسعادة، واذعانهم له
بالرياسة، وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع له لبه، وتبين لهم عقله

واقفقدوا منه جهله ، ورأوه لذلك أهلا ، لما أطاق له حملا ، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة ورأى عز رسول الله صلى الله عليه شمع بأفقه فحسده ، فهدم اسلامه وأظهر ثقاقه ، وما صار منافقا حتى صار حسودا ، فحق بعد اللب ، وجهل بعد العقل ، وتبوا النار بعد الجنة .

ولقد خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يا رسول الله لا تلمه فقد كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لتوجه ، ولو سلم المخدول من الحسد لكان من الاسلام بكان ، ومن السؤدد في ارتقاع ، فوضعه الله بحسده واطهار ثقاقه . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه ، ورجل آتاه الله قرآنا فهو يقوم به في آتاء الليل والنهار » كان ما سواهما مذموما ، وصاحبه عليه مقلبا ، وربما نتج الحسد الكبير فيبلغ صاحبه في المقت غايته ، وفي البغض من جميع الخلق نهايته ، فلا يمر بملأ الا مضغوه ، ولا يذكر في مجلس الا سبوه ، واشهاداته في ملكوت السماء أشد مقتا ، لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنتم شهداء الله في الارض فما رآه المسلمون حسنا كان عند الله حسنا وما رآه المسلمون قبيحا سيئا فهو عند الله سي » .

وقال بعضهم اني اشتري اللحم فأخفيه من جيراني مخافة أن يحسدوني . وذلك ان الجيران - رحمك الله - طلائع عليك ، وعيونهم نواظر اليك ، فسي كنت بينهم معادما فأيسرت فبذلت واعطيت ، وكسوت واطممت ، وكانوا في مثل حالك فأنفضوا ، فسلبوا النعمة وألبستها أنت ، فغظبت عليهم بلية الحسد ، وصاروا منه في تنقيص آخر الابد .

ولولا ان الحسود بنصر الله آياه مستور ، وبصنعه محجوب ، لم يأت

عليه يوم الا كان مقهوراً ، ولا بات ليلة الا كان عن منافعه مقصوراً ، ولم
يس الا وماله مسلوب ، ودمه مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك
وقال مالك بن دينار تقبل شهادة القراء في كل شيء الا بعضهم في
بعض ، فاني وجدتهم أشد تحاسدا من التيوس تشد النجعة فيهب عليها هذا
التيس مرة وهذا التيس مرة ، وضرر المحسود الى صديقه اكثر منه الى
عدوه ، والى خليفته أظهر منه الى مفارقه ، والى قريبه أسرع منه الى بعيده ،
وذكر حميد الطويل انه سأل الحسن البصري فقال يا أبا سعيد هل يحسد
المؤمن ؟ فقال أنسيت - لا أبالك - اخوة يوسف المؤمن يحسد ولكن مالم
يظهر بلسانه ويده ،

وأقول ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ، ولا قدر على
تشحيته وكتمانه ، حتى يتمرد عليه في ظهوره واعلانه ، فيستعبده ويستعمله
ويستنطقه لظهوره عليه ، لهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ، ومن
السلطان على رعيته ، ومن الرجل على زوجته ، ومن الآسر على أسيره . وكان
ابن الزبير بالصبر موصوفا ، وبالدهاء معروفا ، وبالعقل موسوما ، وبالمداواة
متهوما ، فأظهر بلسانه حسدا كان أضرب عليه لما طال في قلبه طائفة ، حتى ظهر
عليه مع صبره على المكاره ، وحمله نفسه على حتفها ، وقلة اكرامه والتفاته
على احجار المجانيق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه ما يلتفت اليها ،
حدثنا عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير
انه قال قدت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير ، فقال له ابن الزبير أنت
الذي تؤنبي ؟ قال نعم لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« ليس بمؤمن من بات شبعا وجاره طاو » فقال له ابن الزبير قلت ذاك

واتبعه بقول يدل على حسد كان ابن عباس من شره معصوماً ، وكان ذاك
 بما في قلبه لبني هاشم مبرزوماً ، وكانت وخزة ثقيلة فلم ييدها له ، وفروع
 بني هاشم حول الحرم باسقة ، وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية ،
 ومجالس بني هاشم من أعاليها فامرة ، وبحورها بارزاق العباد زاهرة ،
 وانجمها بالهدى زاهرة ، فلما تجلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أمكن
 في نفسه ، والحاسد لا يفعل عن فرصته ، إلى أن يأتي الموت على رمتيه ، وما
 استقبل ابن عباس ذلك إلا مارأى عمر يقدمه على أهل القدام ، ونظر
 إليه وقد أطاف به الحرم ، فأوسمهم حكماً ، وتعقبوا منه رأيا وفهماً ، وأشبههم
 علما ولما . وروى عن ابن سيرين أنه قال ما رأيت أكثر علما ولما
 من منزل ابن عباس

وأما أنا فحقا أقول لو ملكت عقوبة الحاسد لم أقامه بأكثر مما
 أقامه الله بلزاه المهرم قلبه وتسلطها عليه فزاده الله حسداً ، وأقامه عليه
 أبداً

(لها بقية)

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

(دماغ الرجل ودماغ المرأة) - يبدأ دماغ المرأة بالتقهقر في سن

الثلاثين أما الرجل ففي الأربعين

(الدخان بقياس رطوبة الهواء) - إذا أشعلت سيكارتك ورأيت

دخانها يصعد مسرعا فاعلم أن الهواء رطب وإذا رأيته يهبط أو يبقى

ساجدا فلهواء جاف وتلطيل ذلك واضح لما تعلمه من ثقل الهواء إذا كان

رطباً فإذا سبغ الدخان فيه كان أخف منه فيتصاعد والمكس بالعكس